Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(2) ; January 2019

أثر الصدقات على الحياة العامة في بلاد الأندلس (٩٢هـ -٧١١م / ٦٥٠هـ - ١٢٥٢م).

Impact of Alms on Public Life in Andalusia (92 AH -711 AD / 650 AH - 1252 AD)

د. أُسامه محمد عبد القادر
جامعة الانبار ـ كلية الآداب
Dr. Osama Mohammad Abdulkader
University of Anbar-College of Arts

الملخص

أن من المعروف ما للصدقة من أثر كبير في الدنيا والآخرة، وقد خصص هذا البحث لدراسة أثر الصدقات على الحياة العامة في بلاد الأندلس (٩٢هـ - ٧١١م/ ٦٥٠هـ - ١٢٥٢م)، وقد تم تقسيم هذا الموضوع إلى مدخل وتمهيد ومبحثان خصص المبحث الأول للصدقات على المحتاجين بالإضافة الى أثرها في افتداء الأسرى أما المبحث الثاني فقد خصص للنفقات العمرانية والعلمية وانهيت البحث بخاتمة .

الكلمات المفتاحية : الصدقات . الاندلس . الأسرى .التصدق على المحتاجين.

Abstract

It is known that alms have great impact in life and afterlife. This research studies the impact of life on public life in Andalusia (92 AH -711 AD / 650 AH-1252 AD). The research is divided into an introduction, a preface, and two sections. The first section deals with alms for needy people and its use in ransoming war prisoners. The second section deals with the use of alms for urban and scientific expenses. The research ends with a conclusion.

المدخل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد اعتنى المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بالصدقات والنفقة على أعمال الخير، لما فيها من الآجر العظيم كما ورد في كتاب الله (عز وجل) وسنة نبيه محمد (ﷺ) وجاء اختياري لهذا الموضوع الموسوم (أثر الصدقات على الحياة العامة في بلاد الأندلس ٩٢هـ – ٧١١م/ ٦٥٠هـ – ١٢٥٢م)؛ وذلك لأهميته في بيان أثر الصدقات على سكان الاندلس وما حققته من نتائج ملموسة على أرض الواقع، وفق ما تمكنت من جمعه من نصوص تاريخية من المصادر المتنوعة وقد قسم البحث الى مقدمة وتمهيد ومبحثان، تناولت في المبحث الأول التصدق على المحتاجين بالإضافة الى افتداء الأسرى، أما المبحث الثاني فقد خصص للصدقات على الجوانب العمرانية والعلمية، ثم تناولت في الخاتمة النتائج التي توصلت اليها وأنهي البحث بقائمة المصادر والمراجع .

١- تمهيد:

بدخول المسلمين الى بلاد الاندلس سنة ٩٢هـ / ٧١٠م[١]، وصولاً الى استكمال عمليات فتحها سنة ٩٥هـ / ٧١٤م[٢]، أحدث المسلمون تغيرات جذرية كبيرة في مختلف مفاصل الحياة فالحكم الإسلامي الجديد أتاح للسكان الحياة الحرة الكريمة التي تحفظ للإنسان كرامته وتسمو به، أن تعاليم الدين الاسلامي الحنيف تحث على تعظيم حقوق المسلمين والتراحم والتودد والتآزر[٣]، قال رسول الله ﷺ((ترى المؤمنين

(١) ابن خياط، أبو عمرو خليفة الشيباني،(ت٢٤٠هـ)، تأريخ خليفة بن خياط، تح، أكرم ضياء العمري، ط٢، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، ١٣٩٧هـ، ج١، ص٤؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت، ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٢٨؛ الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت،٩٠٠)، صفة جزيرة الاندلس، تح١٠. ليفي بروفنسال، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ص٩؛ المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، (ت، ١٠٤١هـ)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م، ج١، ص٢٢٩؛ الحجي، عبد الرحمن علي، التأريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ (٧١١-١٤٩٢م)، دار القلم دمشق، بيروت، دار القلم، الكويت، الرياض، ١٩٧٦م، ص٤٧ .

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٥٤- ٢٧٧ .

(٣) النووي، محيي الدين يحيى بن شرف،(ت، ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ، ج١٦، ص١٣٩-١٤٠؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي الشافعي،(ت، ٨٥٢هـ) ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج١٠، ص٤٣٩ .

في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كَمَثل الجسد إذا اشتكى منه عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[٤]

المبحث الاول الصدقة واثرها على المحتاجين والاسرى

١- التصدق على المحتاجين

نال المعوزين في المجتمع الاسلامي نصيباً كبيراً من نفقات الميسورين، إذ حرص هؤلاء على بذل الأموال لكافة أصحاب الفاقة من الفقراء والمساكين وابن السبيل، ((رغب تعالى في النفقة... كل نفقة كانت من الحلال إذ قصد بها وجه الله تعالى وطلب مرضاته... النفقة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة))[٥]، قال تعالى : (إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧))[٦]،وجاء في السنة النبوية في ذكر فضائل الصدقة والانفاق في سبيل الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:((ما من يومٍ يُصبحُ العبادُ فيه، إلا مَلكانِ يَنزلانِ فَيقولُ أحدُهُما: اللهم أعطِ منفقاً خلفاً، ويقولُ الآخرُ: اللهمَ أعطِ مُمسِكاً تلفاً))[٧].

عرف عن المسلمين في الأندلس اهتمامهم بشؤون المحتاجين فالنعمان بن عبد الله بن النعمان الحضرمي[٨]كان حياً في خلافة سليمان بن عبد الملك ٩٦هـ – ٧١٤م/ ٩٩هـ – ٧١٧م [٩] عرف بصلاحه وزهده، كان كثير الصدقة، حتى إنه تصدق بعطائه كله الذي كان يأخذه من الديوان[١٠]، وممن

---

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج٦، ص١٠؛ مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري،(ت،٢٦١هـ)، المسند الصحيح بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٤م، ج٤، ص١٩٩٩ . روى الإمام مسلم رحمه الله هذا الحديث النبوي الشريف بألفاظ مقاربة للإمام البخاري رحمه الله .

(٥) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، (ت١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١٦، ص١ .

(٦) سورة التغابن ،الآية ١٧ .

(٧) البخاري، صحيح البخاري، ج٢، ص١١٥ .

(٨) النعمان بن عبد الله بن النعمان الحضرمي من سكان مدينة برقة، دخل الأندلس للجهاد، ووفد منها الى الخليفة سليمان بن عبد الملك ومعه محمد بن حبيب المعافري يخبراه بالفتح، استشهد بأقصى ثغور الأندلس. ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، (ت، ٤٠٣هـ)، تأريخ علماء الاندلس، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨، ج٢، ص١٥٥-١٥٦؛ الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي، (ت، ٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، ج١، ص٣٥٨ .

(٩) ابن الفرضي، تأريخ علماء الاندلس، ج٢، ص١٥٥-١٥٦؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ج١، ص٣٥٨ .

(١٠) ابن الفرضي، تأريخ علماء الاندلس، ج٢، ص١٥٥-١٥٦؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٥٦ .

عرف بكثرة التصدق وإطعام الطعام القاضي[١١]، أبو القاسم أحمد بن محمد اللخمي[١٢]، (ت ٣١٢هـ / ٩٢٤م)[١٣]، إذ كان يصنع الولائم العظيمة فيحضرها شيوخ زمانه من الفقهاء والعدول[١٤] .

أما خلصة بن موسى بن عمران[١٥]، (ت،٣٧٦هـ)[١٦] ، المعروف (خلصة الزاهد) من أهل قرطبة، عرف بالورع والزهد والقيام بأعمال الخير، اشتغل بالتجارة وعمل بزازاً ثم ترك هذه المهنة فقسم ماله بين بنيه وجعل سهماً منه للفقراء[١٧]، كما أن عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي[١٨]، (٣١٤ – ٣٩٠هـ)[١٩]، الملقب بابن الزيات زاول هو الآخر مهنة التجارة وقد حصل منها على ثروة كبيرة وتصدق بماله، ومال الى الزهد واعتزل الناس وأقبل على قراءة القرآن الكريم حتى وفاته سنة ٣٩٠هـ[٢٠]، وكذلك

---

(١١) ابن سعيد الأندلسي، ابو الحسن علي بن موسى، (ت، ٦٨٥هـ)، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م، ج١، ص١٥٥ .

(١٢) أحمد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخمي: من أهل قرطبة، سمع بن وضاح وغيره، تولى قضاء قرطبة في صدر أيام الناصر لدين الله مرة بعد مرة، توفي سنة ٣١٢هـ، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص٤٠ .

(١٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص٤٠ .

(١٤) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص١٥٥ .

(١٥) خلصة بن موسى بن عمران الزاهد، أبا اسحاق، اصله من رية، وسكن قرطبة، كان زاهداً فاضلاً، أدى فريضة الحج، توفي ليلة الاربعاء، في رجب سنة ٣٧٦هـ، ودفن بمقبرة الربض، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج١،ص١٧٦؛ الضبي، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، (ت، ٥٩٩هـ)، بغية الملتمس في تأريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٢٩١ .

(١٦) ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، ج١، ص١٧٦؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٩١ .

(١٧) ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، ج١، ص١٧٦؛ ابن الآبار،محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعيالبلنسي ،(ت ٦٥٨، هـ)،التكملة لكتاب الصلة ،تح: عبدالسلام هراس ،دار الفكر ، لبنان، ١٩٩٥م ،ج١ ،ص٢٥٣ .

(١٨) عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن بن يحي التجيبي، يكنى أبا محمد، رحل الى المشرق وسمع من علماء البصرة وبغداد ومصر والقروان والاسكندرية، كان كثير الحديث مسنداً، توفي ليلة الخميس سنة ٣٩٠هـ، ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، ج١، ص٢٨٩؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٣٢؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، (ت، ٧٤٨هـ)، تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح، بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م، ج٨، ص٦٦٣ .

(١٩) ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، ج١، ص٢٨٩ .

(٢٠) ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، ج١، ص٢٨٩ .

أحمد بن محمد بن مغيث[٢١] (ت٤٥٩هـ) من سكان مدينة طليطلة، كان ثقةً، كثير الصدقة، يفضل الفقر على الغنى[٢٢] .

كذلك فأن ولاة الاندلس كان لهم نصيباً من فعل الخير فهذا عبد الرحمن بن محمد المعافري[٢٣]، (ت، ٥١٨هـ)[٢٤]، كان قد وجهه الامير علي بن يوسف بن تاشفين[٢٥]، الى طرطوشة[٢٦]، فسيطر عليها وقلده إمارتها، فكتب اليه جملة من ضعفائها ممن كان يعاني العجز المادي فأستعملهم أمناء[٢٧]، في أماكن متعددة ووسع ارزاقهم، أما باقي من لم يستطع أن يعينهم فأعطاهم من ماله حتى استفاد منه خلقٌ كثير[٢٨]، وقد ترجم له لسان الدين بن الخطيب[٢٩]، بقوله: ((كثير الصنائع، جزل المواهب، عظيم المكارم، على سنن عظماء الملوك، واخلاق السادة الكرام)) .

---

(٢١) أحمد بن محمد بن مغيث الصدفي من أهل قرطبة، يكنى أبا عمر، فقيه طليطلة، كان حافظاً، بصيراً بالفتيا والاحكام، فهماً، نظاراً، فصيحاً، اديباً، توفي سنة ٤٥٩هـ . القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي، (ت٥٤٤هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: سعيد أحمد اعراب، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٨٣م، ج٨، ص١٥٣؛ ابن بشكوال، الصلة، ص٦٤ .

(٢٢) ابن بشكوال، الصلة، ص٦٤ .

(٢٣) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري، يكنى أبا محمد، وهو من ولد عقبة بن نعيم من الداخلين إلى الأندلس من جند دمشق، سكن غرناطة، برع في الشعر والأدب والكتابة، تولى الوزارة في الأندلس، توفى سنة ٥١٨هـ . ينظر: ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة،، ج٣، ص١٨-١٩؛ ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي، (ت٧٧٦هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ج٣، ص٤٠٠-٤٠٢ .

(٢٤) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج٣، ص١٧-١٨ .

(٢٥) علي بن يوسف بن تاشفين: أبو الحسن، تولى إمارة الأندلس بعد وفاة أبيه سنة ٥٠٠هـ، وتلقب بأمير المسلمين، سار على سيرة أبيه في الجهاد، وحماية البلاد من النصارى، كان حسن السيرة عادلاً نزيهً، توفى سنة ٥٣٧هـ . المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي، (ت٦٤٧هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٦م، ص١٢٩؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، ج١١، ص٦٧٢؛ ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج٤، ص٤٤-٤٥ .

(٢٦) طرطوشة: مدينة حصينة على سفح جبل، تقع شرقي بلنسية وقرطبة من البحر على نهر ابرة، اشتهرت بصناعة السفن، الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس، (ت٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتاب، بيروت ١٤٠٩هـ، ج٢، ص٥٥٥؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٤، ص٣٠٠ .

(٢٧) أُمناء: مفردها أمين: معناها المدير أو المشرف أو رئيس الطائفة من أهل الحرف، فأبو إسحاق الساحلي كان أبوه أمين العطارين بغرناطة، أي أنها وظيفة اقتصادية . المقري، نفح الطيب، ج٢، ص١٩٤؛ دوزي، رينهارت بيتر آن، تكملة المعاجم العربية، ترجمة، محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، دار الخياط، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م، ج١، ص١٩٢.

(٢٨) ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٤٠٠-٤٠١ .

ومنهم من أنفق اموالاً طائلة ، فقد ذكر الضبي[٣٠] نقلا عن الفقيه[٣١] بن أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان [٣٢] (كان حياً سنة ٥٦٧هـ) انه ذكر أسماء الأملاك التي باعها والده وأنفقها على الفقراء والمساكين وحسب أثمانها، وإذا بها تساوي أربعة وعشرون ألف ديناراً ، سوى تلك الأملاك التي لم يسجلها ، اذاً فأن أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان قد انفق اربعة وعشرون ألف ديناراً على ذوي الحاجة ، ووفي أثناء الازمة الاقتصادية التي اصابت قرطبة سنة ٥٤٠هـ المتمثلة بالارتفاع الكبير في أسعار البضائع والسلع أنفق ما يقارب مئتان ديناراً على المحتاجين علماً أنه إستدانها من صاحبه أبا القاسم الإقليشي الذي هو الآخر قد تصدق على الفقراء [٣٣]، أما محمد بن أحمد بن صالح القيسي الغرناطي[٣٤] ، (ت٦١٨هـ)[٣٥] ، كان كثير الصدقة سراً وجهراً، وفي سنة ٦١٧ و ٦١٨هـ أصابت مدينة غرناطة مجاعة شديدة، فأخرج كل ما يملك من نفيس الأشياء ودقيقها كأواني الماء وغيرها من المتاع وباعه في السوق وأخرج ثلث ثمنه وهو ما يقارب السبعمائة دينار وتصدق بها على أهل الستر والعفاف وتولى هو توزيعها بنفسه حتى أخرج منها ما يقارب ثلاثمائة دينار . وقد أصابه المرض أثناء توزيعه الصدقات كان سبباً في وفاته، وقد وَكَلَ أُناساً لتوزيع بقية المال المقدر بأربعمائة دينار فوزع على المحتاجين[٣٦] .

([٢٩]) الاحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٤٠٠ .

([٣٠]) بغية الملتمس ،ص١٦٨ .

([٣١]) أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان المخزومي ، ابو بكر ، من اهل جزيرة شقر، يعرف بالعابد ، شاعراً كان حياً سنة ٥٦٧هـ . ابن الابار ،التكملة لكتاب الصلة ج ١، ص٦٩؛ أبو عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي، (ت٧٠٣هـ،) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس ومحمد شريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي ، تونس ، ٢٠١٢م ،ج ١ ،ص٥٧٨

([٣٢]) لعله ابنه جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان المخزومي ، يكنى أبا أحمد ، سمع من ابي العباس الاقليشي روى عنه جماعة منهم ابو عبد الله بن ابي البقاء وابو الحسن بن خيرة ، توفي بجزيرة شقر سنة ثمان وستمائة ، وعمره ما يقارب الثمان وسبعين سنة. ابن الابار ،التكملة لكتاب الصلة ج ١، ص١٩٧.

([٣٣]) الضبي ، بغية الملتمس ،ص١٦٨ .

([٣٤]) محمد بن أحمد بن صالح القيسي: أبو عبد الله الغرناطي، روى عن أبي جعفر بن الحكم وأبي زكرياء الأصبهاني، عرف بزهده وورعه، توفي في أواخر شهر شعبان لسنة ٦٨٠هـ . ابو عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي، (ت٧٠٣هـ،) السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م، ج٢، ص٦٤٥-٦٤٦ .

([٣٥]) ابو عبد الملك المراكشي، السفر الخامس، ج٢، ص٦٤٦ .

([٣٦]) م.ن، ج٢، ص٦٤٥-٦٤٦ .

٢ـ فداء الأسرى:

اهتمت الشريعة الإسلامية بشؤون الأسرى[٣٧] ، فعن أبي موسى ﷺ، قال: قال رسول الله (ﷺ): ((فكوا العانيَ يعني الأسيرَ، أطْعِمُوا الجائعَ وَعُودوا المريضَ))[٣٨] ، بذل أفراداً من المجتمع الأندلسي جهوداً في فداء الأسرى منهم يوسف بن مؤذن بن عيشونالمعافري من أهل وشقة[٣٩] (ت٣٠٩هـ)[٤٠] ، الذي أنفق أموالاً كثيرة، حتى فك نحو مائة أسير من أرض الحرب[٤١] ؛ ولعل سبب وقوع هذا العدد من أسارى المسلمين؛ هو نتيجة الحملات العسكرية الصوائف الكثيرة التي ميزت عهد الإمارة التي كان يرسلها أمراء الأندلس إلى الأراضي التي كان يتحصن بها الإسبان، فلم تكد تمر سنة إلا وشهدت صائفة إلى أرض العدو[٤٢] وبذلك أسهم في إدخال الفرحة على قلوب عوائلهم .

وبالانتقال إلى القرن السادس الهجري يبرز لنا محمد بن عبد الله بن سليمان[٤٣] (ت٥٩٨هـ)[٤٤] ، من أهل بلنسية وصفه ابن الآبار[٤٥] بقوله: ((كان من أهل الصلاح والفضل والورع محققاً بأعمال البر من الصدقات ومفادات الأسارى)) .

---

(٣٧) الشحود، علي نايف، الخلاصة في أحكام الأسرى، ط٢، ٢٠١٢، ص١٢٢-١٢٨ .

(٣٨) البخاري، صحيح البخاري، ج٤، ص٦٨ .

(٣٩) يوسف بن مؤذن بن عيشونالمعافري، يكنى أبا عمر سكن وشقة، سمع بالأندلس، ورحل إلى القيروان ومصر، كان حكيماً عاقلاً ورعاً جواداً منفقاً في سبيل الله ، توفي في ربيع الأول سنة ٣٠٩هـ، وهو في الخامسة والثمانين من عمره . الخشني، محمد بن الحارث، (ت٣٦١هـ)، أخبار الفقهاء والحدثين، تحقيق، ماديا لويسا ابيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٩١هـ، ص٣٨٢؛ ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، ج٢، ص٣٠٢ .

(٤٠) الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص٣٢٨؛ ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، ج٢، ص٣٠٢؛ الذهبي، تأريخ الإسلام ،ج٧، ص١٤٩.

(٤١)الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص٣٢٨؛ ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، ج٢، ص٣٠٢؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، ج٧، ص١٤٩ .

(٤٢) ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي، (ت٦٩٥هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والغرب، تح: ج.س .كولان، ا. ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٢م، ج٢، ص٧٥-١٥١ .

(٤٣) محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن هاجر الأنصاري البلنسي، كان مقرئاً للقرآن الكريم، أدى فريضة الحج ثلاث مرات، سمع صحيح البخاري بمكة عن علي بن عمار وسمع من السلفي بالإسكندرية، توفي في مدينة مرسية في شهر رجب سنة ٥٩٨ هـ . ابن الآبار، التكملة، ج٢، ص٧٨؛ الذهبي ، تأريخ الإسلام ، ج١٢، ص١١٥٤ .

(٤٤) ابن الآبار، التكملة، ج٢، ص٧٨؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، ج١٢، ص١١٥٤ .

المبحث الثاني الصدقة واثرها على الناحية العمرانية والعلمية

١ـ النفقات العمرانية

أسهم الأندلسيون في بناء عدد من المساجد في أماكن متعددة من بلادهم وذلك عن طريق أموالهم الخاصة وهم بذلك يبتغون الآجر والثواب، وقد ورد في فضل بناء المساجد أن عثمان بن عفان ﷺ أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك وأحبوا أن يدعه على هيئته فقال: ((سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ بَنَى مَسْجِداً لِلهِ، بَنَى اللهُ لهُ في الجَنةِ مِثْلَهُ))[٤٦]، شرع الأندلسيون الاهتمام بهذا الجانب المؤثر، فهذا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري[٤٧] (ت٥١٨هـ)[٤٨] فأنفق مبلغاً من المال مقدراه سبعمائة مثقال[٤٩] من أجل إيصال المياه إذ أوصى بحفر سقاية توصل إلى غربي جامع[٥٠] (غرناطة)[٥١] .

([٤٥]) التكملة، ج٢، ص٨٧ .

([٤٦]) مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص٢٢٨٧ .

([٤٧]) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري، يكنى أبا محمد، وهو من ولد عقبة بن نعيم من الداخلين إلى الأندلس من جند دمشق، سكن غرناطة، برع في الشعر والأدب والكتابة، تولى الوزارة في الأندلس، توفى سنة ٥١٨هـ . ينظر: ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة،، ج٣، ص١٨-١٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٤٠٠-٤٠٢.

([٤٨]) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج٣، ص١٧-١٨ .

([٤٩]) المثقال :عشرون قيراطاً ،والقيراط يساوي نصف عشر الدينار في أكثر البلاد الإسلامية .ابن الأثير ،مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري،(ت،٦٠٦هـ) ،النهاية في غريب الحديث والأثر ،تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ،المكتبة العلمية ،بيروت ،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م،ج٤،ص٤٢؛ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني ،ت، ١٢٠٥هـ ،تاج العروس من جواهر القاموس ، تح: مجموعة محققين، دار الهداية ، مصر ،د.ت ،ج٢٨،ص١٥٧

([٥٠]) ابن الآبار، التكملة، ج٣، ص١٧-١٨ .

([٥١]) لا يشير بن الآبار إلى موقع هذا الجامع، ولكن ربما يقع في مدينة غرناطة، لأن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله هو من سكان مدينة غرناطة، وقد تولى النظر في المستخلص(الاملاك السلطانية) بأشبيليه وغرناطة، فضلاً عن قيامه بعمارة جامع غرناطة فبنى الحمام وفرش أرضية صحنه، بالإضافة إلى أن وفاته كانت بغرناطة في شهر شعبان سنة ٥١٨هـ . ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج٣، ص١٨-١٩؛ ابن الخطيب، الاحاطة ، ج٣، ص٤٠٠-٤٠٢؛ عنان ،محمد عبد الله ، دولة الاسلام في الأندلس، ط٤ ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧م ، ج١ ، ص٦٩٠ ؛ السامرائي ، خليل ابراهيم، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديدة المتحدة ،بيروت ،٢٠٠٠م ،ص٤٦٢.

كما أن عبيد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن مسعود المعافري[٥٢] (ت بحدود ٥٧٣-٥٧٤هـ)[٥٣] والذي عرف بصلاحه وقيامه بأعمال الخير، كان غنياً يمتلك ثروة كبيرة بنى مسجداً عرف باسمه، ويقع بالقرب من باب القنطرة داخل مدينة بلنسية، كما أوقف داراً كانت ملكه، لسكنى أئمة المسجد[٥٤] ، كذلك فقد عرف عن سعيد بن عمر بن عبد النور[٥٥] القرطبي (ت٥٨٠هـ)[٥٦]، عنايته بإصلاح المساجد وعمارتها وقد أنفق من أجل هذا أكثر ماله [٥٧] ،أما محمد بن عبد الرحمن الكاتب[٥٨] (ت ٦٠٧هـ) فقام ببناء مسجد دار القضاء في مدينة غرناطة ، و اعتنى بعمارته ، فضلاً عن اهتمامه بإصلاح مساجد أُخرى،كما أسهم في بناء قنطرة على وادي شنيل[٥٩] خارج مدينة غرناطة ، إذ انفق مبلغاً مقداره أربعة آلاف ديناراً من ماله الخاص وذلك قبل وفاته سنة ٦٠٧هـ.[٦٠]

٢- النفقات العلمية

(٥٢) عبيد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن مسعود المعافري، من أهل بلنسية، يكنى أبا مروان، كان اخبارياً محققاً ، أقتنى الكثير من الدواوين والدفاتر ، أدى فريضة الحج، توفي في حدود سنة ٥٧٣هـ و ٥٧٤هـ . ابن الآبار التكملة لكتاب الصلة، ج٢، ص٣١٢-٣١٣ .

(٥٣) ابن الآبار، التكملة، ج٢، ص٣١٣ .

(٥٤) ابن الآبار، التكملة، ج٢، ص٣١٢-٣١٣ .

(٥٥) سعيد بن عمر بن عبد النور القرطبي، يكنى أبا عثمان عرف بالنسك والصلاح ، أم بالمسجد المنسوب إلى ابن غالب والذي يقع بالمدينة الشرقية، أدى فريضة الحج، توفي الأربعاء في الثالث من شهر رجب سنة ٤٥٨هـ . ابن الآبار، التكملة، ج٤، ص١١٤-١١٥.

(٥٦)ابن الآبار، التكملة، ج٤، ص١١٤-١١٥ .

(٥٧)ابن الآبار، التكملة، ج٤، ص١١٥ .

(٥٨) محمد بن عبد الرحمن الكاتب: أبو عبد الله من سكان وادي اش، روى عن أبي زيد السهيلي وغيره من الرواة ،كاتب جليل وشاعر ،كتب لأبناء الأُمراء بغرناطة وشرق الاندلس ، تولى وظائف عديدة ، إذ تولى الإشراف على البناء في غرناطة ، ثم تولى الإشراف في مراكش ، ثم أُعفي ، ثم تولي النظر في المستخلص في غرناطة إلى أن توفي سنة ٦٠٧ هـ . أبو عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج٤، ص403؛ ابن الخطيب ، الإحاطة في اخبار غرناطة ،ج٣ ص ١٦٠- ١٦١.

(٥٩) شنيل: سمى نهر الثلج ،ينبع من جبل شلير ، ويجري بمدينة غرناطة. الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج٢ ،ص٥٧٢،٥٦٩

(٦٠)أبو عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج٤، ص403؛ ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ،ج٣ ص١٦٠.

اشتملت النفقات كذلك الجانب التعليمي فهذا أحمد بن سعيد بن كوثر [٦١]، (ت٣٠٤هـ) ، من فقهاء طليطلة كان غاية في الكرم، كان يأتيه من المشرق والأندلس ما يقارب أربعين تلميذاً فيقوم بتعليمهم في داره ويفرش لهم بسط الصوف المبطنة ويضع لها الوسائد المصنوعة من الصوف ويضع كانوناً[٦٢] مملوءاً فحماً لتدفئة المكان فإذا فرغ من تعليمهم قدم الموائد وعليها ثرائد من لحوم الخرفان تارة وتارة أخرى يضع ثرائد اللبن بالسمن أو الزبد فيأكلون جميعاً حتى الشبع واستمر على هذا الصنيع ثلاثة أشهر وبكل تأكيد فقد أنفق هذا الفقيه أموالاً طائلة خلال الثلاثة أشهر لكونه يضع أفخر أنواع الطعام لأربعين تلميذاً [٦٣]

(٦١) أحمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري، يكنى أبا عمر، كان فقيهاً متفننا، كريم النفس أخذ العلم عن جماعة من علماء الأندلس، أجاز له جماعة من شيوخ قرطبة مع أبيه، قتل وهو يقرأ القرآن الكريم وأشيع في الناس أنه مرض ومات رحمه الله، أما ابن حيان فذكر أنه مات مسموماً في سجنه بشنترين سنة ٤٠٣هـ . ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، (ت٥٧٨هـ) ، الصلة في تأريخ أئمة الأندلس، عني بنشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٠م، ص٤١-٤٢ .

(٦٢)الكانون: الموقد . الفارابي، إسماعيل بن حماد الجوهري،(ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ج٦، ص٢١٨٩.

(٦٣) ابن بشكوال ،الصلة، ص٤٢؛ حسين ، كريم عجيل، الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية (٩٢-٤٩٤/ ٧١١-١١٠٢م)، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦م ، ص٢٥٤-٢٥٥

الخاتمة

قدم عدد كبير من سكان بلاد الأندلس على إختلاف المدن التي ينتمون إليها سواء كانوا من أهل عاصمتها قرطبة أو غرناطة أو رية أو غيرها من أمهات المدن الأندلسية الصدقات وقد بذلوا أموالاً طائلة جمعوها من خلال المهن التي زاولوها، كان لها أثراً واضحاً في إعانة الفقراء ومواساتهم والتخفيف عنهم، ومنهم من أبدى المساعدة للمحتاجين أيام الازمات مثلما فعل محمد بن أحمد بن صالح الغرناطي (ت٦٢٨هـ) عندما باع اشياء ثمينة كان يملكها وأخرج ثلث ثمنها لأهل العفاف وذلك عندما أصابت المجاعة مدينة غرناطة، وكذلك فقد أسهمت الصدقات في اطلاق أعدادٍ كبيرة جداً من أسرى المسلمين الذين وقعوا بأيدي النصارى الإسبان، وفي هذاالجانب نشير إلى يوسف بن مؤذن الذي أنفق أموالاً وافتدى نحو مئة أسير من المسلمين، وعلى الرغم من أن النفقات العمرانية كانت من مسؤولية الدولة في بلاد الأندلس إلا أن أفراداً من المجتمع ساهموا في جزء منها ولا سيما اختطاط المساجد وعمارتها وإدامتها وإيصال المياه إليها وتقديم السكن لأئمتها، أما الجانب التعليمي فهو الآخر كان نال نصيباً من اهتمامات الأندلسيين فالعالم أحمد بن سعيد الطليطلي قدم أموالاً كثيرة صرفت على مساكن الطلبة وغذائهم وتعليمهم مما أدى تشجيع الحركة العلمية وديمومتها .

المصادر والمراجع

القران الكريم

.1المصادر

1. ابن الآبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، (ت٦٥٨هـ) ، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٥م.
2. ابن الأثير،،مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري، (ت،٦٠٦هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ،تح: طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ،المكتبة العلمية ،بيروت ،١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .
3. الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله إدريس،(ت٥٦٠هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتاب، بيروت، ١٤٠٩هـ.
4. البخاري، محمد بن إسماعيل،(ت٢٥٦هـ) الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله وسنته وأيامه (صحيح البخاري)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢٢هـ .

5ـ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك،(ت٥٧٨هـ) ، الصلة في تأريخ أئمة الأندلس، عني بنشره السيد عزت العطار الحسيني، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م.

6ـ البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر،(ت٢٧٩هـ) فتوح البلدان، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

7ـ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي الشافعي،(ت٨٥٢هـ) ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ

8ـ الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله الازدي،(ت٤٤٨هـ) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.

9ـ الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم،(ت٩٠٠هـ) ،صفة جزيرة الأندلس، تح: ليفي بروفنسال،ط٢، دار الجيل، بيروت،١٩٨٨م.

10ـ الخشني، محمد بن الحارث،(ت٣٦١هـ) ، أخبار الفقهاء والحدثين، تح: ماريا لويسا ابيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٩١هـ.

11ـ ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي، (ت٧٧٦هـ) ، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٤هـ.

12ـ ابن خياط، أبو عمرو خليفة الشيباني،(ت٢٤٠هـ) ، خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، ط٢، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، ١٣٩٧هـ.

13ـ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان،(ت٧٤٨هـ) ، تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.

14ـ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني ،(ت، ١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح: مجموعة محققين، دار الهداية ، مصر ،د.ت.

15ـ الضبي، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة،(ت٥٩٩هـ) ، بغية الملتمس في تأريخ رجال الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

16ـ أبو عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد الأوسي الأنصاري ، (ت٧٠٣هـ) ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس ومحمد شريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي ، تونس ، ٢٠١٢م

17 ـ السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م .

18. ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي، (ت٦٩٥هـ) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س .كولان، ا. ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٢م.

19. الفارابي، إسماعيل بن حماد الجوهري،(ت٣٩٣هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

20. القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي، (ت٥٤٤هـ) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: سعيد أحمد اعراب، مطبعة فضالة المغرب، ١٩٨٣م.

21. المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي،(ت٦٤٧هـ) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٦م.

22. مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري،(ت٢١٦هـ) ، المسند الصحيح بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٤م.

23. المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني،(ت١٠٤١هـ) ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح، احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م.

24. النووي، محي الدين بن شرف، (ت٦٧٦هـ) ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

25. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت٦٢٦هـ) ،معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

2.المراجع

26. الحجي، عبد الرحمن علي ،التأريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ (٧١١-١٤٩٢م)، دار القلم، دمشق، بيروت، دار القلم، الكويت، الرياض، ١٩٧٦م

27. حسين، كريم عجيل ، الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية (٩٢-٤٩٤هـ/ ٧١١-١١٠٢م)،ط ا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦م.

28. دوزي، رينهارت بيتر آن ، تكملة المعاجم العربية، ترجمة، محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، دار الخياط، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.

29 ـ السامرائي ، خليل ابراهيم ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديدة المتحدة ،بيروت ،٢٠٠٠م.

30. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله،)ت١٣٧٦هـ(،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م.

٣١ـ عنان ،محمد عبد الله .ـ دولة الإسلام في الأندلس، ط٤ ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧م